البحث
٦

حول مياه الرى فى العصر السومرى فى العراق القديم

د. أحمد محمود حسين صابون
أستاذ التاريخ القديم المساعد
كلية التربية - دمنهور

ديسمبر ١٩٩١

حول مياه الري فى العصر السومرى
فى العراق القديم

الأرض :

نشأت الحضارات الأولى فى المناطق الرسوبية الخصبة على ضفاف الأنهار ومصباتها ، كما هو الحال فى العراق القديم ، حيث يعد بحكم خصائصه الجغرافية وبطبيعة رافديه ، دجلة والفرات ، من أقدم البلاد التى مارست الري فى زراعة أراضيها . ومن ثم فإنه يبدو أن القوي الطبيعية للمياه ترقى إلى مستوي قوي الانتاج الرئيسية ، عندما تكون مشروعات الري فى المرحلة البدائية [١] ، والمتمثلة فى شق القنوات والترع . ومن المعروف أن جنوب العراق القديم لم يعتمد على الأمطار - لقلتها - فى حياته الزراعية ، مما جعل نصف مايصلح من أراضيه القابلة للزراعة أرضا قاحلة . ومن ثم فقد عوضت الأنهار هذا النقص جزئيا، حيث يعتبر عصر حضارة الوركاء [٢] من أهم المراحل الحضارية فى مرحلة التكوين الحضاري فى تاريخ العراق القديم ، ففى المجال المادي بدأت المدن فى التكوين رغم ماتكلفته من جهود شاقة اتصلت بعملية ترسيب الغرين والصراع المحتمل بين المياه المالحة فى الخليج العربى والغذبة فى الرافدين وروافدهما ، ولكن بفضل القدرة على التحكم فى القوي المائية

---

(١) ثور كيلد جاكوبسن : فى هـ . فرانكفورت وهـ. أ. فرانكفورت: ماقبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٧١-١٧٢ .

(٢) محمد عبد اللطيف محمد : تاريخ العراق القديم ، الاسكندرية ، ١٩٧٧، ص ١١٢-١٤٢ .

(٣) رشيد الناضوري : المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضاري والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا - الكتاب الأول - بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٢.٢ - ٢.٣ وكذا

Lees G. and Falcon, N., "The Geographical History of the Mesopotamian Plain", G.J, 118,1952, PP.24FF

والتعاون بين العناصر المستقرة فى الجنوب [٣] ، حتى تحول النصف الجنوبى من العراق الى شبكة واسعة من القنوات والترع . ومن ثم فقد بدأت الزراعة أولا بزراعة الاكتفاء الذاتى ، ولكن سرعان ماتوسعت الزراعة وتوفر عنها فائض كبير من المحصول الزراعى نتيجة لخصب الأرض ووفرة المياه المحملة بالغرين . ونتيجة لذلك فقد عمد العراق القديم إلى تخزين المحصول لمقايضته بالسلع والبضائع المختلفة [١] . وهكذا غدا الانتاج الزراعى يمثل الفرع الرئيسى للاقتصاد .

هناك من العوامل التى ساعدت على سكني منطقة الفرات الأسفل القديم أن نهر الفرات يجري بين ضفاف منخفضة ومنجدرة انحداراً قليلا بخلاف ماهى عليه الحال فى نهر دجلة ، الأمر الذي يساعده على السيطرة عليه واستغلال مياهه فى الري والزراعة بسهولة . هذا فضلا عن وفرة المياه فى هذه المنطقة على طول مواسم السنة ، حيث تتجمع المياه من كل صوب فتنتشر فى السهل المنبسط بأعماق ضئيلة مما يسهل استغلالها فى الري والزراعة دون عناء كبير، وهكذا شق انسان هذه المنطقة طريقه ونمى طاقاته وخبراته مكتسبا مهارات جديدة فى استثمار هذه الأرض معتمداً على الري ، فظهرت وتعددت على إثر ذلك مراكز التجمع والتحضر حينذال على محاذاة مجري نهر الفرات القديم [٢].

إن الحاجة لتنظيم الري للقيام بالزراعة المعتمدة عليه ، هى التى خلقت النظام الذي أدي بدوره لقيام حكومة . وقد عُدّ تنظيم الري عند كثير من الباحثين عاملاً بالغ الأهمية فى توطيد عُري التعاون الاجتماعى والتقدم السياسى [٣] ، ولاعجب أن أقدم

---

(١) الكسندر نيومينيف : " اقتصاد الدولة فى سومر القديمة " ، العراق القديم ، دراسة تحليلية الاقتصادية والاجتماعية ، ترجمة سليم طه التكريتى ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٨٦ ، صـ ١١٦

(٢) Fish, T., "The Place of the Small state in the Political and Cultural History of Ancient Mesopotamia", BJRL, 28, 1944, P.P. 4,9.

(٣) عامر سليمان : القانون فى العراق القدم ، الموصل ، ١٩٧٧ ، وكذا

Barton, G.A., The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, London, 1929, P.80 F;

=Lambert, M.,"Les Reformes d'urukagina " RA,50,1956, PP.169 FF;

الشرائع المعروفة فى العراق القدم ، تتناول بالدرجة الأولى واجبات الفلاح الأساسية وعلاقته بالذين يتصلون بالعمل الزراعى ، الذي يعتمد على الري ، كما أن الزراعة الدائمة على مدار السنة لايمكن أن تمارس إلأبتضامن مجهود بشري فى سبيل نقل وتوفير كميات وفيرة من المياه من مصدرها الأصلى إلى الأرض المراد زراعتها . وإن هذا العمل يؤدي بطبيعة الحال إلى مساهمة حكومية لاعداد مشروعات الري ، التى من شأنها بعث حياة زراعية منتجة [١] .

إن الفكر الدينى ، فى العراق القديم ، ظل يعلل تقلبات النمو من حيث الوفرة والقلة فى الانتاج الزراعى ، وإلى الوفرة والقلة فى طبيعة المياه ، كل ذلك إلى إرادة إلهية ، ومن ثم فقد ابتدع فكرة الزواج المثمر بين قوي الخصب ، ثم موت أحد الطرفين على الأقل موتا مفجعاً ، ثم بعثه المفرح ، وزواجهما زواجا مقدسا [٢] .

= Diakono ff, I. M., "Some Remarks on the "Reforms" of Urukagina", "RA, 52,1958, PP. .ff;

Finkelstein, J.J., " The Laws of Ur-Namma", JCS, 22, 1968-1969, pp .66 ff.

Gadd, C.J. " The Cities of Babylonia", CAH, vol. I, part 2 P. 125

(١) Witt Fogel, K.A., Oriental Despolism - A Comparative Study of Total Power, Yale University Press, 1962 , PP. 49 FF.

لقد قدم العراقيون القدامى منجزات هندسية متميزة وابتكارات رائعة فى الري مما كان له أعمق الأثر فى التقدم الحضاري . غير أن المادة المعروفة عن تاريخ تلك الهندسة القديمة محدودة جدا . وهى متناثرة فى مصادر مختلفة ومقالات وكتابات متفرقة . انظر :

جميل الملائكة : " أساسيات الهندسة فى العراق القديم " ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، الجزء الأول ، المجلد الرابع والثلاثون ، عام ١٩٨٣ ، ص ١٢٣ .

(٢) فاضل عبد الواحد على : عشتارو مأساة تموز ، بغداد ، ١٩٧٣، ص ١٣٥ وهناك رأي يفسر تلك الظاهرة - الزواج المقدس - بأنها ترتبط بعقيدة الخصوبة فى صورتها الأولية ، بمعنى أن يتقدم بعض الكهنة والكاهنات بتقبل الموت ممثلين فى ذلك دور الإله والالهة فى الزواج المقدس ، الذي يؤدي إلى خصوبة البلاد وخيرها فى بداية كل عام ، وربما كان هناك ارتباط بين ذلك التفسير وبين عقيدة الإله تموز . ويغلب أن هذا الرأي أقرب إلى الصحة رغم أنه ليس نهائيا ، فلاتزال مشكلة تفسير تواجد تلك التضحيات البشرية قائمة =

وترجع أقدم الأدلة الكتابية على هذا الزواج المقدس إلى عهد جوديا ملك لجسن[1] .

= انظر :

رشيد الناضوري : المرجع السابق ، ص ٢٦١ وكذا

Saggs, H.W.F., The Greatness that was Babylon, London, 1962,P.377.

وللمزيد من الزواج المقدس . انظر :

عبد الرضا الطعان : الفكر السياسى فى العراق القديم ، بغدا ، ١٩٨١ ، ص ٥١١-٥١٧ أما عن التضحية البشرية - انظر :

Parrot, A., Sumer, London, 1960, P.160;

Suggs, H.W.F., op. cit., P.395;

Woolley, L., History Unearthed, Ur of the Chaldees London, 1963, PP.65ff;

, Excavations at Ur, London, 1963, PP.52 FF.,

(١) تذكر أحد النصوص المنسوبة إلى الملك جوديا عن زواج نينجر سو إله مدنية لجسن ، من الإلهة بابا ، حيث يتضح من النص أن الملك الذي يتمثل بالإله نينجرسو دخل معبده وكأنه نسر يصوب نظراته إلى فريسته ، حيث يكون "كالعاصفة الهادرة والطير الجارح" ، ثم يشير إلى الإلهة بابا فيصفها بالزوجة الطيبة، التى تعنى ببتها ، ويشبهها باعتبارها إلهة الخصب والعطاء ، وبأنها نهر دجلة فى أوج فيضانه وبستان مملوء بالفاكهة . انظر:

FrankFort, H.,La Royaute et les dieux Payot, Paris, 1951, P.422;

, The Art and Architecure of the Ancient Orient,(Penguin Books), 1970, P.30.

إن الزواج المقدس بين أنكى وننحرساج، قد أدي إلى انجاب الإلهة نينمو، وهى الإلهة الباعثة على النمو والانتاج . انظر :

Kramer, S.N., "Sumerian Myths and Epic Tales-Enki and Ninhursag: a Paradise Myth", ANET, P.P. 37,39.

ويري بعض الباحثين أنه ليس الإله وحده هو الذي يتزوج رمزيا ، أي مقدسا ، وأنما اقتضت التقاليد =

إن الغرض من إقامة الزواج المقدس أصلا هو الاستزادة من الخصب والبركة للمجتمع ، وأن ذلك يرجع إلى الجمع بين المياه العذبة التى يمثلها الإله انكى (١)

= كذلك بأن مدخل الملك الحاكم بمناسبة كل عيد بكاهنة ممن نذرن أنفسهن للإلهة إنانا إلهه الحب والتوالد (وصفات أخري) ضمانا لخصب التربة وخصب الأرحام، ويستشهد على ذلك بأنشودة سومرية متأخرة ، حيث تعتبر العروس المقدسة فيها الملك شوسين (٢٣٨٠-٢٣٠٠ق.م)، من ملوك أسرة أور الثالثة ، عريسها . وتذكر أنه أسر قلبها، وأنها تواجهه واجفة ثم تخاطبه بلقب الأسد وتطلب إليه أن يحتبيها لنفسه ، وتعرض عليه أن تذلله بتدليل أشهى من الشهد ، وأن يدللها بدوره ويضاجعها حتى مطلع الفجر. انظر :

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨١،

جيمس فريزر : الغصن الذهبى ، دراسة فى السحر والدين ، ترجم إشراف د. احمد أبو زيد ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٧١، ص ١٠٠ - ١٠٢ وكذا

Child, G., La Naissance de la Civilisation, Paris, 1963, P.100;

Kramer, S.N., Sumerian Leterary tablets From Ur,Compte Rendu de L'onzieme Rencontre Assyrio logique International, Organisee aLeiden du23 au 29 Juin 1962, Leiden,1964, Ch.XXIII.

(١) أنكى : هو الاسم السومري ، أما "أيا" ، فهو الاسم السامى ، ويعد عند السومريين إلها للحكمه والمعرفه ومحيط الماء العذب والذي معبده فى مياه العمق ، التى تسمى فى السومرية "أبسو"، والذي يعنى بيت الماء ، أي روح الماء المحيط بالسماء والأرض . وقد وكل بالأعماق واتخذه مقره فى مياه العمق ، وهى المياه التى تحمل الأرض وتحيط بها . وهو يعد العنصر المذكر ، الذي يمثل المياه العذبة وكان فى اعتقاد العراقى القديم ان هذا هو موطن إله الماء الكي ، حيث المياه الجوفية السفلى ، لذلك كانوا يعنون بأبسو مياه المحيط الأسفل حيث اعتقدوا أن الأنهار والأهوار تخرج من تلك المياه . ولقد تخيل السومريون مركزها فى مدينة أريدوا (أبى شهر من الجالية) . وقد نعت بإله الحكمة ومقرراً للمصائر وإليه عزي إليه تنظيم الارض ومقومات حضارتها وعددت افعاله فى تنظيم الظواهر الطبيعية والثقافية اللازمة للحضارة والعمران أنظر: عبد اعزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ وكذا سامى سعيد الأحمد : العراق القديم ، الجزء الأول حتى العصر الأكدي ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٣٧٢ وكذا =

والارض التى يمثلها الإلهة ننحرساج [١]، مما نتج عنه انبثاق الحياة الزراعية [٢] ولذلك يدعو الكاهن ممثلة آلهة الخصب أن تتفضل على البلاد بالخيرات والنعم فى سبيل أن يكثر الحب وينمو الزرع وتأتي الأنهار بمياه وفيرة [٣] . وهذا بالطبع لايتأتى إلاّ عن طريق الاهتمام بشبكة من القنوات والترع .

إن الافكار التى يصوغها العراقى القديم بصدد أصل الكون مبنية على معرفته بالطريقة التى تتكون بها المساحات الجديدة من أرض العراق ، حيث نشأت على مر السنين من الطمي الذي يجئ به نهري دجلة والفرات ويرسبانه فى المصب من كليهما ، سنة إثر سنة ، بامتداد الارض فى الخليج . وهذا هو المشهد - حيث تلتقى مياه النهرين العذبه بمياه بحر الخليج المالحة وتمتزج فيها . فالعراقى القديم كان يري فوضى مياه الزمن الأول تمتزج فيها إبسو ، الماء العذب ، وتيامت ، مياه البحر المالحة ، كما كان يري الطمى - ممثلا بأول الآلهة لخمو ولخامو - وهو ينفصل عن الماء ويظهر للعين ويتراكم . ولخمو ولخامو يلدان انشار وكيشار ، أي أن طمى الزمان الأول بعد أن ولدته المياه العذبة والمالحة فى فوضى المياه الأولى،يستقر ويتراكم في حلقة فسيحة هائلة الأفق [٤]

= Kramer, S.N., "Enki and Ninhursyg : aParadise Myth," ANEL, PP.37F.

(١) ننحر ساج: أو "ننماخ" بمعنى السيدة المعظمة فهى الإلهة الأم وعرفت أيضا باسم (ننتو " أي السيدة الوالدة وكانت تعد زوجة الإله آن وان هذين الالهين كانا والدي جميع الآلهة . وقد مثلت الإلهة ننحرساج على هيئة امرأة ترضع طفلا ومعه أطفال آخرون التفوا بثوبها ، ومن ثم فانها كانت تعد أم الآلهة ، وبذلك فهى ام البشر . انظر:

احمد سوسه : تاريخ حضارة وادي الرافدين الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٨٣، ص ٣٨٤ وكذا

عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٤٤-١٤٥ وكذا

Kramer, S.N., op.cit., PP.37F.

(٢) رشيد الناضوري : المرجع السابق ، ص ٥٩

(٣) فاضل عبد الواحد على : المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٤) فرانكفورت . هـ.أ. فرانكفورت : المرجع السابق ، ص ٢٦٣-٢٦٤.

يري بعض الباحثين ان العراق القديم بوفرة انهاره ومياهه وأراضيه الخصبة ، التى كان لعنصر الماء أهمية فى تركيب كيانه الحضاري القديم وازدهار مدينته [١] ، حيث اتضح ذلك الانعكاس الفكري للمياه فى الفكر العراقى القديم ، حيث كانت القوة الخلاقه عندما ينظر الانسان إلى الأرض باعتبارها "الأرض الأم" ، فهى فى اعتباره القوة الموجودة فى الأرض ، ذلك المصدر الغامض ، الذي لاينضب للحياة الجديدة والخصب ، حيث كانت أما تلد كل عام النباتات والحاصلات الزراعية من جديد . ولما كانت الأرض ، هي القوة الفعالة الكاشفة والمخصبة في الانبات عُدت لذلك مظهراً من مظاهر القوة الإلهية ، واعتقد انسان العراق القديم ، بأنها "السيدة الوالدة" ، حيث عرفت الإلهة ننحر ساج[٢].

وتبدو قرابة الأرض الزراعية - المعتمدة على الري ، من حيث التنوع فى خصائصها، إلى الطبيعة . فهى أكثر غنى وأشد تنوعا من أن تعبر عنه فكرة واحدة يتم ادراكها كذات أو كيان . فالتربة الخصبة والميلاد والتناسل الخ ، كلها وجوه معددة ومتنوعة للارض . ويبدو أن الحياة كانت أحد وجوهها هذه ، التى عُدت القوة الظاهرة فيها انكى .

---

(١) Whitehouse, R., The First Cities, London, 1977, P.178.

(٢) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

المياه :

وقد أدي الإله انكى دوراً مهما فى بعض الأساطير ، حيث يُعد هو الماء العذب ، الذي يرمز إليه وجها من وجوه الأرض ، غير أن المياه ومافيها من قوة قد حررت نفسها وغدت لها شخصيتها المستقلة وجوهرها الخاص ، فكانت القوة ، التى تكشف عن نفسها للإنسان فى العراق القديم فى تجربته الذاتيه للمياه ، باعتبارها قوة خلاقة وفعالة وإرادة إلهية لانتاج حياة جديدة .

تعبر المياه - من هذه الناحية - عن كل قوة الأرض . ولما كان هناك فرق بين المياه والأرض ، حيث الأخيرة ساكنة ، فخصبها لايمثل إلاّ انتاجية سالبة ، أما المياه فإنها تفيض وتجري وتنحسر فى الحقول لترويها ، كأن لها إرادة وهدفا ، ومن ثم فهى تمثل الانتاجية الفعالة أو بالأحري الخلق [١] .

إن الماء ، يمثل عنصر الخلق ، سواء أكان مصدر الفعل والحركة ، او مصدر الأشياء الجديدة ، حيث يعتقد السومريون عن الخليقة وأصل الأشياء أو التكوين هى أنه منذ البدء لم يكن فى الكون سوي البحر الأول ، أو المياه الأولى ، وكانت هذه المياه أصل الحياه متمثلة بهيئة المياه العذبة " ابسو" أو مياه الأنهار [٢] ولقد تجسد هذا الاعتقاد فى نص سومري [٣]

" .. لقد خولك أبوك آن ، أول ملك وحاكم
على عالم لم يكن قد اكتمل
. خولك فى السماء والأرض أن تصنع وترشد
وأن تكثر اليانع من الخضرة ،
وتنبت الفسائل فى المزارع والحدائق .
وانليل وهبك اسمه الجبار الرهيب ،

---

(١) احمد سوسة : المرجع السابق ، ص ٤٣٣

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٨٥

(٣) ثور كيلد جاكوبسن : المرجع السابق ، ص ١٧٣-١٧٤

وهناك نص آخر[٤] يذكر : لقد اعطانى انليل السماد والأرض ،

لقد منحنى القيادة ،

لقد منحنى الفيضان .

كما أن الماء حينما ينساب يسلك الطرق السهلة متجنبا المرتفعات واشباهها ، ومن أجل ذلك نُسبت إلى الاله انكى المهارة والذكاء ، وكان فيه قوي فعالة ، فى كل مكان يحل به ، وكذلك كان يمثل الفكر فى الخليقة ، فسمى إله الحكمة ، وسيد المعرفة ، وهو الذي وهب الناس الفكر ، ولقد تكرر ذلك ".. والذي وهبه (أي الملك) الإله انكى الفهم ."[٢٢] ويتضح ذلك من نص سومري :[٢٣]

"..ياانكى ، ياسيد اللفظ الحكيم

إياك أحمد.

لقد خو لك أبوك آن .

أول ملك وحاكم على عالم لم يكن قد اكتمل ،

خولك فى السماء والأرض أن تصنع وترشد ورفعك سيداً عليهما .."

لقد كان طبيعيا أن يجعل سكان العراق القديم الأنهار والمجاري المائية من أبرز المعبودات من قوي الطبيعة ، لذلك فقد لعب دجلة والفرات دوراً هاماً فى هذا المضمار، فهما يسقيان الأرض ويرسبان الغرين ويهيئان وسائل المواصلات المائية لنقل الآلهة والبشر وبضاعتهم . وكما كان يعتبر النهر مسكنا لإله الماء انكى ، وقد حفرته الآلهة من أجل استقباله[٢٤].

---

(٤) Kramer, S.N., "Sumerian Hymns", ANET, PP 578F.

(٢٢) صموئيل نوح كريمر : السومريون ، ترجمة فيصل الوائلى ، الكويت ، ١٩٧٣، ص ٤٤٢، ٤٥٢ ، ٤٦٥-٤٦٦ .

(٢٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ وكذا

عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٤٥ وكذا

Green, M.W., Eridu in Sumerian Literature, Chicago, 1975, P.P. 67,78.

(٢٤) احمد سوسة : المرجع السابق ، ص ٣٨٣ .

إن فيضان المياه ، فى العراق القديم ، جعل هناك مسألتين أساسيتين ، تتمثل الأولى بالسيطرة عليه ، أما الأخري باستغلاله

أولا :

تتميز الفيضانات[٢٥أ] الجارفة والواسعة لنهري دجلة والفرات بأنها تأتى مداهمة سريعة لايمكن التكهن بها ، خلافا لما عليه الحال فى نهر النيل ، فضلا عن طبيعة الأرض التى يجري فيها النهران ، والتى لاتقبل لسدود السهل الجنوبى على صدها أو منع أخطارها ، تصبح من نتائجها الكثير من الكوارث فكانوا ملزمين أيضا بإتخاذ مايجب من إجراءات لدرء أخطار الفيضان، ومن ذلك توقية سداد الأنهار وتحويل فائضها الذي كانوا يستفيدون من مخزونه لإستعماله فى زمن شحة المياه. وإذا أخذنا بعين الاعتبار اتساع رقعة الأراضى الزراعية وعدم اقتران هذا الاتساع بتقدم فى شبكة الري ، بالأضافة إلى تبعثر المستقرات وعزلتها الواحدة عن الأخري ، مما لايسمح بضمان التعاون فيما بينها . وبالتالى تجنيد قوة العمل لتكون بمثابة التعويض عن الضعف فى ميدان شبكة الري [٢٥ب].

وإذا ماأخذنا بعين الاعتبار لكل ذلك ، فانه سيكون من السهل أن نتصور انفتاح الباب أمام الذولة ، حتى فى شكلها الأولى ، لتتدخل بالقوة لتقوم بالتالى باستخدام جميع أفراد المستقرات فى إطار تنظيم ثابت للعمل بقصد القيام بمشاريع الري اللازمة للسيطرة وتنظيم مياه الفيضان . وبهذه الوسائل يتم خفض الماء الهائل ، فلا [٢٥ج] يحدث سوي القليل من الإضرار ، على حين تستمر المياه فى تدفقها فى القنوات

(٢٥أ) احمد سوسه : فيضانات بغداد فى التاريخ ، القسم الأول ، بغداد ١٩٦٣.

(٢٥ب) فاضل عبد الواحد على : الطوفان ، بغداد ١٩٧٥ ، وكذا جورج كونتينو : الحياة اليومية فى بلاد بابل وآشور ، ترجمة سليم طه التكريتى وبرهان عبد التكريتى ، بغداد ، ١٩٧٩ ص ١١-١٢ وكذا سيتون لويد : آثار بلاد الرافدين ، ترجمة سامى سعيد الأحمد ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ١٤-١٦ وكذا

FrankFort, H., The Brith of Civilization in the Near East, PP. 51F.

(٢٥ج) Howard, S., "An Abandoned Irrigation System in Southern Iraq",Nelson, 18, 1968, PP. 67FF.

إن هذا قد وجد له أنعكاسا على المستوي الفكري ، لاسيما فى ملحمة الخليقة [٢٦] ، والتى منها يتضح أن طغيان المياه فى موسم الفيضان أصبح - فى نظر العراقى القديم - انعكاسا لغضب إلهى المياه الأزلية القديمة أبسو وتيامت ، وأن إنحسار مياه الفيضان كان دليلا على أن حارهما أمام قوي الآلهة . إن الفيضانات السنوية ، فى العراق القديم ، كانت فى المفهوم عبارة عن تجسيد لطغيان المياه الازلية الأولى ، وماكلفْ الآلهة من صراع عنيف لكبح جماحها ، ولذلك فقد كان من المحتم على الآلهة وممثليها ، فى الأرض (كالانسى ولوجال) خوض هذه المعركة وكسبها كل عام مثلما فعلت الآلهة فى الدهور الأولى وإلاّ تهدد الكون بالفناء [٢٧] ، والمتمثل فى الطوفانات[٢٨] حيث يمكن القول بأن حوادث الطوفانات أو الفيضانات الكبيرة فى العراق القديم كانت من اهم وأخطر الحوادث التى تعتبر مميزة لبداية العصر التاريخى فى بلاد الرافدين .

أن الصراع المستمر - حتى الآن - بين المياه العذبه الممثلة فى مياه الأنهار والمياه الملحة الممثلة فى مياه الخليج العربى تظهر آثارها فى هذه المنطقة من العراق ، ولذلك اتجه الفكر السومري الأول إلى التعبير عن كيفية ظهور العالم متلمسين الحقائق

---

(٢٦) نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الادنى القديم ، الجزء السادس ، حضارات الشرق القديم ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ص ٢٧٥ - ٣١٥ .

(٢٧) فاضل عبد الواحد على : عشتار ومأساة تموز ، ص ٢١-٢٢ ، ١٣٣-١٣٤ وكذا

FrankFort, H., La Royaute et les Dieux Payot, Paris, 1951, PP. 293F.

(٢٨) Lambert., W.G.,Babylonian Wisdom Literature, OxFord, 1960, P.92F,

Woolley, L., op. cit, PP.28F;

Biggs, R.D., "Akkadian Didactic and Wisdom Literature," ANET, PP.594 F;

Civil, M., The Floodstory, Atrahasis, 1969; Kramer, S.N., "Sumerian Myths and Epic Tales", PP. 43F.

من التجارب ، التى بواجهونها أمام اعينهم فى منطقة جنوب العراق القديم ، ولذلك يُعد انتاجهم الأدبى السومري بكيفية الخلق نابعا من بيئتهم الخاصة . وتؤكد هذه الحقائق أن الانتاج الحضاري المعنوي المتعلق بوجهة نظر الانسان فى العراق القديم نحو المبادئ الدينية الأولى ومن أهمها وجهة نظره نحو كيفية خلق العالم قد نتج من صميم البيئة العراقية القديمة (٢٩).

صراع الطبيعة :

يتضح الصراع المستمر ، الذي يدور بين مردوك أو إنليل ، الذي يمثله مردوك بقدر مايمثل البطش ، وقد مثل باذنيين كبيرتين كناية عن الفهم الكثير وبيده سلاح ، وبين تيامات ، والذي يمثل الصراع بين الريح والمياه ، أو بالأحري يرمز الى الصراع بين الريح والفيضانات ، حيث فى كل ربيع تطغى المياه على سهول العراق القديم ويقودها إلى فوضى الزمن الأول المائية ، إلى أن تصارع مياه الفيضان هذه أو تجففها وتعود الأرض اليابسة (٣٠) ، حيث ينادي أن داملیل " نسمة السماء ... نسمة الأرض" فتظهر الخضرة عى الأرض من جديد وينمو النبات (٣١)

إن الصراع بين مردوك وتيامات ، يمثل الصراع بين قوي الفعل والحركة ، التى تعبر عنها الآلهة الجدد ، والتى يرمز إليها مردوك ، وقوي الخمول ، التى تعبر عنها الآلهة القديمة ، والتى ترمز إليها تيامات ، ولكن من أجل أن يتحقق النصر للقوي الأولى كان عليها أن تجهد نفسها وتبذل مافى وسعها فوجدت السبيل إلي ذلك فى نوع من التنظيم يتيح لها استغلال كل طاقتها . كما أن القوي النشيطة فى مجتمع ما تتنسق وتتكامل في شكل الدولة ، فتستطيع أن تتغلب على مايتهددها من ميل إلى

---

(٢٩) رشيد الناضوري : جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الأول ، ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٣٠) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ، ص ١٥٠ وكذا

ثوركيلد جاكوبسن : المرجع السابق ، ص ٢١٣ - ٢١٤ وكذا

Civil, M., " The Sign LAK 384",Or,52, 1983, P.236.

(٣١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٠

الفوضى والقصور الذاتى التى تهدد الكون . بكلمة أخري ، إن التغلب على الفيضانات ، الذي تعبر عنه قوي الخمول والقصور الذاتى لم يكن بالامكان أن يتحقق بمعزل عن الدولة ، التى تعبر عن القوي النشيطة ، وإذا ماشئنا الدقة فى التعبير ، فإنه يمكن القول بأن التغلب على الفيضانات لم يكن بالامكان ان يتحقق بمعزل عن تنظيم هذه القوي النشيطة الذي اتخذ شكل الدولة ، والتى قامت بالإهتمام بشبكات الري (٣٢) .

اعتمدت الزراعة فى الجزء الأدنى من العراق القديم باعتبار أرضه دلتا أو جزيرة ، كلية فى الري ،ومأأن حل عصر الأسرات الأول ، حتى كانت القنوات العديدة قد شقت لتوزيع المياه وتصريف المستنقعات ، وربما الملاحة كذلك (٣٣)

وهى مهام قامت بها الأسرات الملكية - كما سنوضح فيما بعد - من حفر وتطهير القنوات اللازمة للري والعناية بتنظيمها وتوسيعها ، إذ أن ازدهار الاقتصاد الزراعى فى العراق القديم يتوقف على تنظيم مياهها (٣٤) .

لقد ترتب على اضطلاع الدولة ، باستغلال المياه للزراعة عن طريق نظام الري المعقد ، أن قام فوق المستقرات - التي كانت تستفيد من الأرض - نظام يتمثل فى الملكية الأصلية للارض فى شكل شخصى يتجسد في الملك (٣٥أ) .

---

(٣٢) Jacobsen, Th., "The Waters of Ur, Iraq, 22,1960, PP. 174 FF.

(٣٣) جورج كونتينو : المرجع السابق ، ص ٧٤-٨١ وكذا
كوردن تشايلد : التطور الاجتماعى ، ترجمة لطفى فطيم ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٩ .

(٣٤) اخلاص مرتضى حسن : دور الدولة فى نمو الاقتصاد العراقى القديم وأهمية النظم الاقتصادية اللاحقة مع اشارة خاصة الى عهد سلاله بابل الأولى ، بغداد ، ١٩٧٧، ص ٢٣٣-٢٣٤ وكذا
ليونارد رولى : وادي ارافدين مهد الحضارة ، ترجمة احمد عبد الباقى ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٥٨ وكذا

(٣٥أ) WittFogel, K.A., Le Despotisme Oriental, Paris, 1964, PP. 74FF.
Ribard, A., La Prodigieuse Histoire de L'HBumanite , Paris, 1958, P.13.

إن الدولة كانت تؤدي وظيفة ذات أهمية حيوية بالنسبة إلى السكان ، فهى تشق وتنظم أعمال الري . أي أن الدولة مّمينة بأن تخلق وتنظم طاقة المياه ، وذلك بالسيطرة على المياه عن طريق نظام ري محكم دقيق ، معتمدا على جانب كبير من الترع المنبثقة من الأنهار[٣٦] .

لقد اضطلعت الدولة فى مجال الري على مستويين عينى وفكري :

أولا : المستوى العينى :

إن تحقيق خير الشعب يتوافر عندما تتم الرفاهية المادية من قبل السلطة السياسية ، وتحقيق الرفاهية المادية كان يعنى زيادة الانتاج . وهكذا فإن الحاكم كان يحرص دائما على تحقيق مضمون هذا الانتاج على اعتبار أنه يجد فيه الضمانه للحصول على رضا الآلهة ،[١] وبالتالى استمرار تمتعه بالسلطة السياسية . ويبدو أن أحد مضامن الإرادة الإلهية كان يتمثل بتحقيق خير الشعب من خلال الحرص المعتمد على تحقيق المتطلبات اللازمة لهذا الخير .

ويتمثل الانتاج بالدرجة الأولى - فى العراق القديم - على الانتاج الزراعى ، المعتمد على الري ، حيث يتصف سهلى دجلة والفرات بالخصوبة والنماء بشريطة أن تجفف وتروي على الوجه الصحيح[٢] . وقد عرف ذلك سكان العراق القديم ، ولذا فاخر

---

(٣٦) Albight, W.F., "The Mouth of the Rivers", AJSL, 35, 1918-19, PP. 161ff.

(١) هناك أمثلة عن هذا الرضا المتمثل فى بعض الكتابات الندرية ، انظر :
Oppenheim, L., "Babylonian and Assyrian Historical Texts", ANET, PP. 267 ff.

(٢) قد بدأت مرحلة التجفيف عند السومريين عندما كثر عدد السكان والماشيه بحيث لم تعد تكفى اراضى الجزر الصغيرة لإعاشتهم ، ومن ثم فقد ساقتهم الحاجة إلي إحياء أراضى جديدة من منطقة المستنقعات وذلك بتسويرها بسدود ترابية وتجفيفها ثم زراعتها وذلك برميها سيجا باحداث فتحات فى أسوارها على قدر حاجة رميها . ولما كان الماء قليل العمق فالضغط على هذه السدود لم يكن من الشدة بحيث تحتاج إلى أعمال ضخمة .
Russel, J.C., "Aspects of Soil Salinity in Iraq", FAO, Jan. 20, 1956.

ملوكهم بحفرهم القنوات والترع الخاصة بالضرورة للري . ويلاحظ على سبيل المثال لا الحصر فى العصر السومري ماقام به الملك أورنانشه[٣] من نشاط يعد - نوعا ما كبيرا - حيث شق القنوات وحفر الترع لري الأراضى الزراعية ، ويتمثل أهمها فى أنه حفر قناة توصل إلى مدينته التى أطلق عليها اسم " نانشه" [٤]

كانت أراضى لجش (تلو) وأوما(تل جوخة)، التى تقع إلى الشمال الغربى من لجش بحوالى ثلاثين كيلومترا ، ترويان أراضيهما من قناة مشتركة ، تأخذ مياهها من مجري نهر الفرات القديم من شمال شرقى مدنية كيش يدعى " اي - تورونكال" ، فيمر أولا بأراضى أوما الواقعة إلى الشمال الشرقى من لجش ثم ينتهى إلى أراضى لجش ، حيث تقع على حدودها مقاطعة جوادين (جوادنا) الخصبة مما جعل أوما تتحكم بالمياه بحيث تستطيع أن تسيطر على مياه القناة وتستأثر بها لصالحها أو قد تتعمد تحويل المياه عن القناة بقصد حرمان منطقة لجش من المياه والحاق الضرر بزراعتها ، وفى الوقت نفسه كانت أوما تطمع بالاستيلاء على مقاطعة جوادين وضمها إلى أراضيها [٤٢] .

وفى الواقع أن قصة الصراع بين لجش وأوما على موارد المياه وحدود الزراعة ، إنما قد بدأت قبل ذلك [٤٣] ، عندما كانت مدنية كيش تمارس سلطانا واضحا على سومر فى أيام الملك " ميسليم " الذي دانت له بالولاء لجش وغيرها من المدن فى جنوب العراق ، أو ربما كانت له صلة مابمدينة لجش سمحت له بأن يقدم هداياه إلي إلهها ننجرسو ، وربما شارك فى بناء معبده [٤٤] . وهكذا إستطاع ميسليم أن يقوم بدور

---

(٣) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٧ وكذا Gadd, C.J., op.cit, pp. 116F.

(٤) أول ملك ارتقى عرش أسرة لجش الاولى باختيار الإلهة نانشة ، والتى تعد المعبودة التى ترعى الماء الجاري الزاخر بالأسماك وهى تعيش فى القنوات . ومن ثم فقد بنى لها معبداً وعدداً من الهياكل . وكانت لها صلة بمياه العمق ابسو وبمدينته اريدو . ومن صفات نانشه هذه أنها ترمز للحكمة والعلم . انظر: احمد سوسة : المرجع السابق ، ص ٣٧٣-٣٨٤.

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٩ .

(٤٣) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٨ وكذا .
صموئيل نوح كريمر : المرجع السابق ، ص٧٢ .

(٤٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .

للمعبود ننجرسو ، وبسبب رفع لوح الحدود الذي كان قد أقر هناك بين البلدين على يد ميسليم ، ثم غزا سهل لجش ، ويبدو أن المعركة أشهرت بكلمة من ننجرسو - محارب انليل - وأن إهلاك أهل أوما أنما تم بتدخل من انليل نفسه ، ذلك المعبود الهام الذي تتركز عبادته فى نيبور ، وصاحب الكلمة الأخيرة فى اعطاء النصر لمن يشاء ، وأن إياناتوم كان قد تضرع - قبل بدء القتال - إلى ننجرسو ، ملتمسا عونه ومشورته ، وقد تجلى ننجرسو لإياناتوم ، وأعلنه أنه هو المختار للانتقام والأخذ بالثأر ، وانبطح إياناتوم على وجهه ، وشهد رؤيا ، شهد ننجرسو نفسه يقف على جانب رأسه ، ويعده بالنصر على أعدائه ، وأن بابار إله الشمس سيضى المدينة ، ويقف إلى يمينه ليشد أزره ، وقام إياناتوم لينفذ ماأمر به المعبود ، وتقدم جيوشه إلى أوما(٤٩) .

ودارت المعركة بين الفريقين ، وسرعان ماانتهت بنصر الملك إياناتوم على عدوه أوش وقتل من أعدائه ٣٦٠٠ رجلا(٥٠) ، وفى قراءة أخري ٣٦٠٠٠ رجلا ، ثم تقدم نحو أسوار أوما فدكها دكا ، وسرعان ماسقطت المدينة تحت بأسه ، فأعمل فيها السيف فى إبادة كاملة كالعاصفة المجتاحة ، ثم جمع جثث القتلى من رجاله ، وترك القتلي من أعدائه فى العراء ، إلاّ من وجده يشغل الطريق فألقى به خارج الأسوار فريسة للجوارح والحيوانات الضارية ، ومن هنا جاءت تسمية اللوحة بلوحة العقبان .(٥١)

وكان من نتائج المعركة أن أعيد سهل جوادين فور انتهاء القتال إلى لجش ، وبذلك استردت الضيعة المحبوبة ل ننجرسو ، وأعيدت إليه ، وأعاد إياناتوم تخطيط الحدود لصلاح دولته ، وأجبر خصومه على عقد معاهدة جديدة أعاد بمقتضاها النصب القديم إلى مكانه ، وحفر رجاله خندقا كبيراً على طول الحدود ، وأقاموا عدة نصب على امتداده ، وبنوا على جانبيه عدة مزارات لمعبوداتهم لتكون رادعا للعدوان ، ويبدو أنه كان من المفروض أن تجري المياه إلى الخندق من قنوات أوما المهزومة ، وأراد إياناتوم أن يخفف وقع الهزيمة على خصوبة فسمح لهم باستغلال جزء من أرض الحدود ،

---

(٤٩) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧

(٥٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

(٥١) Porrot, A., Sumer, Paris, 1961, P. 134F.

على أن يؤدوا الضرائب عنها [٥٢] .

لقد ذكرت نصوص عهد الملك أياناتوم أن هناك تصميمات لرسوم قنوات وترع ، حيث وجدت لوحة فخارية تمثل قناة " هو مادشا" [١] ، ويبين النقش المصاحب لها بأنها حفرت بأمر الملك إياناتوم ، وقد إمتدت من النهر ، والتى الحق بها خزان كبير يتسع لأكثر من ٣٦٠٠ جار من المياه [٢] أي حوالى ٤٨٠٠ جالون عند مدينة لجش . وكانت تخرج من الخزان قناة تسمى "لوماكين - شار" . وقد وسع خلفه الملك ايناناتوم الأول الخزان فجعل سعته ١٨٤٠ جار أي حوالى ٤٩٠٠ جالون ، كما قام بتدعيم هذا الخزان وترسيخ أركانه ابنه املك انتيمنا ، بالاضافة إلى أنه اكمل شق قناة أخري تصل مابين النهرين [٣] ، وبعد ذلك أعاد الملك أوروكاجينا[X] بتدعيم ذلك الخزان [٤] .

---

(٥٢) Frankfort, H., op. cit., pp.71FF;

Roux, G., Ancient Iraq, (penguin Books), 1980, pp. 136F.

(١) يحتمل أن تكون القناة " هومادشا" ، هى الحالية التى تتفرع من جلة عند القنطرة كوت وتنحدر جنوبا حتى لجش وتسمى شط الحى . انظر :

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٠٥ (١) .

(٢) Thureau - Dangin, F., Die Sumerischen und akkadischen Konig sinschriften, Leipzig, 1907, pp.22F;

Sollberger, E., Le Système verbal dans Les Inscriptions "royales" prè Sargoniques de locgas, Geneva, 1952,p.92 (148).

(٣) Lambert, M., "Le pèriode prèsargonique:, Sumer, 8, 1952, p.77; Barrelet, M.-Th., "Une" Construction ènigmatique" à Tello," Iraq, 29,1965, pp. 113F.

(X) ينطقه البعض " أوروأنيمكينا" - انظر : فاضل عبد الواحد على : " السومريون والاكزيون " - العراق فى التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٧٣ وكذا

Vanstiphout, H., " political Ideologyin Early Sumer", orlp ,I 1970, pp. 7 FF.

(٤) Delaporte, L., La Mesopotamie, Les Civilizations Babylonienne et Assyrienne, Le Renaissance du Livre, paris, 1923, pp. 115F;

Thureau - Dangin, F., op. cit., pp. 46F;

Jacobsen, Th., op. cit., pp. 103F.

توفى إياناتوم دون أن يترك وريثا له فخلفه أخوه ايناناتوم الأول ، فجددت أوما فى عهد ملكها أور لوما ، الذي ظل يثير المتاعب ، حيث انتهز فرصة انشغال ايناناتوم الأول بالأعمال الداخلية ، كما أحس فيه بعض الضعف ، فحطم مسلة ميسليم ، التى كانت مقامة على الحدود منذ سنوات بعيدة ، وقام بتخريب بعض دور العبادة القائمة فى ضواحى مدينة لجش ، واعترض ايناناتوم الأول على ذلك . ومن ثم فقد تجدد الصراع وقام أورلوما حاكم أوماالجديد بهجوم عنيف على لجش نفسها ، والتى احتلها ، والظاهر أن اينانا توم الأول قُتل اثناء الدفاع عن مدينته (٥٥).

تولى الحكم بعد انياناتوم الأول ابنه انتيمنا الذي نجح فى قهر عدوه ملك أوما ، الذي فر من الميدان ، غير أن انتيمنا استمر فى القتال ، حتى فى داخل أوما . وتمت هزيمة ملكها أورلوما ، الذي تم ذبحه على يد انتيمنا ، وبذلك أعاد للجش مجدها وسلطانها ، وتمكن أن يعيد سيطرته على جميع المنطقة التى تمتد الى نهر دجلة شمالا ، حيث ضم انتيمنا أوما الى بلاده ونظم الأمور فيها .

لم تنته - مع ذلك - الحرب بين الفريقين ، وذلك لأن حاكم أوما الجديد إيل سرعان مامنع الماء عن القناة التى تروي أملاك المعابد فى منطقة الحدود ، مدعيا أنها تجري فى أراضيه ، وبالتالى فقد وضع يده عليها (٥٦) .

ومن ثم فقد عقد انتيمنا العزم على وضع نهاية لتحديات حكام أوما ، وذلك

---

(٥٥) Lambert, M., "La Period presorgonique", P. 206;

Basmachi, F. and Edzard, D.O., "Statue of son of Enannatum I in the Eraq Museum", Sumer, 14, 1958, pp.109F;

Ali, F.A., "New Text of Enammatum I ", Sumer, 29, 1973, p.29.

وعن ترتيب ملوك أسرة لجش الاولى ومن يقابلهم من حكام أوما ، انظر :

Edzard, D.O., "Konigslnschriften des Iraq Museums II", Sumer, 15, 1959, p. 22:

(٥٦) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٠٩ وكذا صموئيل نوح كريمر : المرجع السابق ، ص ٤٧٣ - ٤٧٨ وكذا

Gadd, C.J., op. cit., p.119 .

بشق قناة تأخذ مياهها من نهر دجلة بدلاً من اعتماده علي القناة التى تأخذ مياهها من نهر الفرات ، والتى تسيطر على مياهها أوما . ولقد أسس هذه القناة الجديدة بالآجر والقار وأقام على جوانبها سدوداً واقية حتى أوصل المياه إلي أراضى لجش ، التى تقع على مبعدة حوالى ١٣٠ كيلا من نهر دجلة ، إلاّ ان القناة أخذت على مر الزمن بالتوسع عمقا وعرضا بتأثير إنحدارها الشديد صوب أراضى لجش المنخفضة ، حتى أصبحت هذه القناة فرعا رئيسيا لدجلة (شط الغراف الحالى) ، ومنذ ذلك الوقت أخذت كل المنطقة المجاورة إلى لجش تعتمد فى ري أراضيها على مياه نهر دجلة (٥٧).

انتهى الصراع ، آخر الأمر ، بإعادة ألواح منطقة الحدود إلي مكانها ، فضلا عن تشييد بعض المبانى فى المنطقة (٥٨)

حفر الملك أوروكاجينا قناة صغيرة ، طولها تقريبا ٢٨٠ مترا، والتى تم تنفيذها وفقا لخطة موضوعة من أجل الإلهة ننجرسو ، أي العائدة لـ"جرسو" (ربما حرفيا التى تمتلكها جيرسو) وسماها "ننجرسو - الذي - هو - قوي - خارجا من نفرّ . ولقد أوصلها بقناة "نينا - ندو" ، عسى أن تجلب القناة الصافية ، التى قلبها مشع ، ماء تقيا صالحا لـ نانشه (٥٩) .

أما الملك جوديا فقد عنى بشق القنوات ، منها مانسبت إلي إله لجش ، والتى سميت " ننجرسو - أوشو مجال" . وقد خلد هذا الحدث بجعله إسما لإحدي سنى حكمه ، أي العام الجديد ، وهى قناة كإن الغرض منها توفير الماء فى لجش ومقاطعاتها. كما أنه بذل جهداً كبيراً من أجل جعل القنوات ، التى كانت موبودة قبل عصره فى حالة تجعلها صالحة للملاحة ، وذلك لأن نقل مواد البناء و من اخشاب وأحجار ومعادن ، إنما

(٥٧) صموئيل نوح كريمر : المرجع السابق ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٥٨) Gadd, G.J., op.cit., p.119.

(٥٩) Stephens, F.J., "Notes on Some Economic Texts of the Time of Urukagina", RA, 49, 1955, pp. 129 FF.

كان يتم عن طريق الماء ، وأن إنزالها إلى البر إنما كان يتطلب إقامة رصيف على مقربة من إحدي بوابات المدينة [٦٠]

وقد اهتم أورنامو بشق القنوات ، وهو عمل لاشك فى أهميته القصوي فى جنوب العراق القديم ، لتطهير هذه المجاري المائية من الترسيبات الطميه ، حتى لاتفقد قيمتها كوسيلة ري ومواصلات فى آن واحد ، وطبقا لما جاء على لوح حجري من أور ، فلقد أمر أورنامو بحفر القنوات على حدود عاصمته أور ، وقد ربطت إحدي هذه القنوات مدينة أور بالبحر ، حتى يتسنى التيسير لسفن تجارة الخليج أن تفرغ شحناتها فى مدينة أور [٦١]

وثمة قنوات وترع أدنى شأنا من الأولى كانت توصل المياه الى نهايات الحقول والبساتين ، حيث كانت تُمد بالمياه بواسطة السواقى والروافع الأخري التى تعمل بيد الإنسان[٦٢]

ومما يذكر أن ملوك سومر كانوا يتباهون ويتفاخرون بما يقومون به من أعمال الري كحفر الترع وشق القنوات التى تنقل المياه الى الاراضى الزراعية البعيدة ، وتقوية السدود لحماية الاراضي الزراعية من الغرق وماإلى ذلك من المشاريع كالخزانات والنواظم والقناطر وغيرها ، بقدر ماكانوا يفخرون بفتوحاتهم وأعمالهم الحربية . فقلما نجد ملكا من الملوك السومريين الاقوياء لايفاخر بأنه شق قناة وبذل عناية فى سبيل انجاز

---

(٦٠) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١١٦ وكذا

Delaporte , L., op. cit., p. 115.

(٦١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٩ وكذا

Gadd, C.J., "The Last Kings of Agade and the Gutian Supremacy", CAH, vol. I, part, 2, pp. 559 F;

Jacobson, th., "The Waters of Ur", pp. 179FF.

(٦٢) اخلاص مرتضى حسن : المرجع السابق ، ص ٢٣٣-٢٣٤ وكذا

Wittfogel, K., op. cit., pp. 84F, 88F.

مشروعات الري . ولاشك فى أن شق هذه القنوات قد استلزم اتقان المناهج القائمة على الفن الهندسى مع الافتراض ان إقامتها قد تمت على مراحل متتابعة مقرونة بتحسينات مستمرة خلال التنفيذ الذي لابد أنه تطلب زمنا طويلا حتى بلغ العمل ذرة الدقة والاتقان (٦٣)

ثانيا : المستوى الفكري :

لقد كانت معظم الآلهة - فى العراق القديم - تعنى بالري ، إذ كان يعد ميدانا خاصا بها ، وربما لهذا السبب كان حفر وتطهير القنوات يتخذ شكل طقوس تتم بدلالة الوحى ، الذي يحدد اليوم ،العمل المناسب ، كما كانت تتم بعض التطهيرات بشخص الملك بالإضافة الى بعض الكهنة (٦٤) ومن ثم فانه يلاحظ أن كثيراً من الملوك فى العراق القديم كانوا يقدمون القنوات كقرابين إلى الآلة ، مما كان يجعل من حفرها عملاً دينيا مقدسا . ففى العصر السومري ، كان يتم فى مدينة نيبور الدينية الاحتفال بعيد خاص هو عيد الري ، حيث تقدم فيه القرابين خاصة إلى الإله انليل وزوجته الإلهة ننليل (٦٥) إنه فى الواقع ، عيد ، يعبر عن محاولة الحاكم فى إطار سعيه لتحقيق الرفاهية المادية ، لجلب بركة الآلهة لرعاياه ، وليضمن للبلاد خصبا واخصابا جيدين .

يتبين من أسطورة دلمون أو الفردوس السومري ، زواجا مقدسا بين انكى وننحرساج ، مما أدي إلى انجاب الآلهة نينمو ، وهى الإلهة الباعثة على النمو والانتاج ، وكان الفكر السومري يقصد من تأكيد ذلك الجانب الانتاجى فى حياة المجتمع السومري أن ذلك يرجع إلى الجمع بين المياه العذبة والأرض - كما أوضح الباحث سابقا - مما نتج

---

(٦٣) Jacobson, Th., "La Geographie et les Voies du Communication du pays de Sumer", R.A., 52, 1958, pp. 137ff.

(٦٤) Labat, R., op. cit., pp. 288 F.

(٦٥) جميل الملائكة :" روائع الأعمال الهيدروليكية فى العراق القديم "، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، السنة الخامسة ، العدد أول ١٩٧٩، ص ٥٨-٦١ .

عنه انبثاق الحياة الزراعية [٦٦] . وعلى ذلك فهذه الاسطورة السومرية تعد ذات مقصد اقتصادي بعيد المدي .

يري ، انسان العراق القديم ، فى التقاء مياه الرافدين العذبة " ابسو" بمياه الخليج العربى الملحة "تيامت" ، بأنها فوضى مياه الزمن الأول ، والتى تُرسب الطمى ، ممثلا بالإلهة "لخمو" [١] ، الذي يستقر ويتراكم مكونا - سيلا فيضيا ، أي أن الأرض تكونت من الطمى الذي جلبه ابسو[٢] . وهذا يعنى أن انسان العراق القديم ذهب إلي القول بأن فى البدء لم يكن هناك شئ ، وفى إطار العدم هذا يتخلق أصلان رطبان ، أحدهما مذكر وهو ابسو ، محيط المياه العذبة المحدق بالأرض ، والثانى مؤنث وهو تيامت ومعناها مياه البحر الملحة . وأن الأصليين معا علة وجود كل الآلهة .

وقد كان طبيعيا أن يجعل سكان وادي الرافدين القدامى الانهار والمجاري المائية من أبرز المعبودات من قوي الطبيعة ، لذلك فقد لعب دجلة والفرات دوراً هاما فى هذا المضمار ، فهما يسقيان الأرض ويرسبان الغرين ويهيئان وسائل المواصلات المائية لنقل الآلهة والناس وبضائعهم . والإله النهر ذكر اسمه بالأكدية " نهرو" وهى كلمة مذكرة أو مؤنثة ، وكان النهر يعتبر مسكنا لإله الماء انكى وقد حفرته الآلهة لاستقباله [٣] .

كان لنهر الفرات حرمة قدسية لدي السومريين ، اذ كان مصدر حياتهم وخيراتهم ، حيث اعتقدوا ان الطوفان منبعث من غضب الآلهة بسبب فساد البشر وآثام الانسان

---

(٦٦) Leemans, W.F., Foreign trade in the old Babylonian Period, Leiden: Brill, 1960, p.31; Kramer, S.N., "The Indus Civilization and Dilmunn, The Sumerien Paradise Land", EXP, 6, 1964, pp. 44ff.

(١) يمثلان هو والإلهة لخامو الغرين الذي تكون فى المياه ، وقد انجبا كلا من انشاد وكيشار ، واللذان يمثلان الأفقين السماوي والأرضى ، وهما فى تصورهما الدائرة التى تحيط بالأرض ، وانتج هذان الزوجان الأخيران الإله آن إله المساء . انظر :
رشيد الناضوري : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) Delaporte, L., op.cit., 152 FF.

(٣) احمد سوسة : المرجع السابق ، ص ٣٨٣

وخطاياه ، ولابد من ترضيتهم بتقديم القرابين اليهم ، وفى دعاء موجه إلى نهر الفرات جاء فيه مايلى[١] :

" أيها النهر خالق كل شئ حينما حفرتك الآلهة العظام اقاموا أشياء طيبة على شطئانك وف؟ي طيات غمرك بنى (أيا) ملك الغمر مقامه وأنعموا عليه بفيض من المياه لا نظير له . فيأيها النهر العظيم ، أيها النهر المجيد يانهر المعابد المقدسة مياهك تفرج الغمة فتقبلنى برأفة وخذ مافى بدنى وأرم به على شطئانك وغرقه عند ضفافك وغطه فى أعماقك ."

انه من البديهى ، بالنسبة للاقتصاد الذي يعتمد بالدرجة الأساسية على مصادر الأرض والمياه ، حيث تلعب فصول النسة دوراً هاما فى حياه المجتمع الزراعى ، وبالمقابل فان ضرورة إعادة توزيع الحقول الى تغمرها مياه الري من حين لآخر كل ذلك يبرز اهمية التقويم الموحدة بالنسبة للمجتمعات المعتمده على الري [٢] وكما تؤكد ملحمة الخليفة أن الإله مردوك بعد انتصاره على تيامت ينصر ف الى شئون التنظيم الداخلى واول مايقوم به هو تنظيم التقويم [٣] .

---

(١) احمد سوسة : المرجع السابق ، ص ٤٤٣-٤٤٤

(٢) Delaporte, L.op.cit., p. 239.

(٣) ثوركيلدجاكوبسن : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

١٦ - محمد عبد اللطيف محمد : تاريخ العراق القديم ، الاسكندرية ، ١٩٧٧
١٧ - نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء السادس ، حضارات الشرق القديم ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ .

ثانيا ، الترجمة

١ - الكسندر تيومينيف : " اقتصاد الدولة فى سومر القديمة " ، العراق القديم دراسة تحليلية الاقتصادية والاجتماعية ، ترجمة سليم طه التكريتى ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٨٦ .
٢ - ثور كيلد جاكوبسن : فى هـ . فرانكفورت و هـ . أ. فرانكفورت : ماقبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، بيروت ، ١٩٦٠ .
٣ - جورج كونتينو : الحياة اليومية فى بلاد بابل وآشور ، ترجمة سليم طه التكريتى وبرهان عبد التكريتى ، بغداد ، ١٩٧٩ .
٤ - جيمس فريزر : الفصن الذهبى ، دراسة فى السحر والدين ، ترجم باشراف د. احمد أبو زيد ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٧١ .
٥ - : ادونيس أو تموز ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٩
٦ - سيتون لويد : آثار بلاد الرافدين ، ترجمة سامى سعيد الأحمد ، بغداد ، الكويت ، ١٩٧٣ .
٧ - صموئيل نوح كريمر : السومريون ، ترجمة فيصل الوائلى ، ١٩٨٠ .
٨ - كوردن تشايلد : التطور الاجتماعى ، ترجمة لطفى فطيم ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
٩ - ليونارد رولى : وادي الرافدين مهد الحضارة ، ترجمة احمد عبد الباقى ، بغداد ، ١٩٨٤ .

1 - Albigh , W. F., " The Mouth of the Rivers" , AJSL,35, 1918-190.
2 - Ali, F. A., "New Text of Enannatum I", Sumer, 29,1973.
3 - Barrelet, M.-Th., "Une" Construction énigmatique " à Tello", Iraq, 29, 1965.
4 - Barton, G. A., The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, London, 1929.
5 - Basmachi, F. and Edzard, D. O., "Stature of Son of Enannatum I in the Iraq Museum", Sumer, 14,1958.
6 - Biggs, R. D., "Akkadian Didactic and Wisdon Literature", ANET.
7 - Child, G., La Nuissance dela Civilisation, Paris, 1963.
8 - Civil, M., The Sumerian Flood Story, Atrahasis, 1969.
9 - , " The Sign LAK 384", Or, 52, 1983.
10 - Delaport, L., La Mesopotamie, Les Civilizations Babylonienne et Assyrienne, Le Renaissance du Livre, Paris, 1923.
11 - Diakonoff, I. M., "Some Remarks on the" Reforms" of Urukagina", "RA,52,1958.
12- Edzard, D.O., "Konigsinschriften des Iraq Museums II, "Sumer, 15, 1959.
13 - Frankfort, H., The Birth of Civilisation in the Near East, William and Norgate Limited, Great Britian, 1951.
14 - , La Royaute et les dieuX Payot, Paris, 1951.
15 - , The Artand Architecture of the Ancientorient, (Penguin Books), 1970 .
16 - Fish, T., " The Place of the Small State in the Political and Cultural History of Ancient Mesopotamia" , BJRL, 28, 1944.
17 - Gadd, C.J., " The Cities of Babylonia" , CAH, vol. I, part, 2.
18 - , "The Last Kings of Agade and the Gutian Supremacy", CAH, vol. I, part 2.
19 - Green, M. W., Eriduin Sumerian Literature, Chicago, 1975 .
20 - Howard, S., "An Abandoned Irvigation System in Southern Iraq", Nelson, 18, 1968.
21 - Jacobsen, Th. " La Geographieet les Voies du Communication du Pays de Sumer", RA, 52, 1958.
22 - , "The Water of Ur" . Iraq, 22, 1960 .
23 - , " A Survey of the Girsu (Tello) Region", Sumer, 25, 1969 .
24 - Kramer, S. N., " The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Paradise Land ", Exp, 6, 1964.
25 - , Smerian Leterary Tablets From Ur, Compte Rendu de l'onzicme Rencontre Assyriologique International Organisée à Leiden du 23 au 29 Juin 1962, Leiden, 1964.
26 - , "Enki and Ninhursug : a Paradise Myth", ANET.
27 - , "Sumerian Hymns", ANET.
28 - , " Sumerian Hyths and Epic Tales" , ANET.
29 - Lambert, M. "Le période pré sargonique", Sumer, 8, 1952.
30 - , " Les Reformes d'urukagina," RA, 50, 1956.

31- Leemans, W.F., Foreign trade in the old Baby Lonian Period, Leiden: Brill, 1960.
32 - Lambert, W.G., Babylonian Wisdom Literature, OXFord 1960 .
33 - Lees, G. and Falcon, N., "The Geographical History of the Mesopotamian Plain", GJ, 118, 1952 .
34 - Oppenheim, L., "Babylonian and Assyrian Historical Texts", ANET.
35 - Porrot, A., Sumer, Paris, 1961.
36 - Ribard, A., La Prodigieuse Histoire de L'Humanité, Paris, 1958 .
37 - RouX, G., Ancient Iraq, (Penguin Books), 1980.
38 - Russel, J. C., "Aspects of Soil Salinity in Iraq", FAO, Jan. 20. 1956.
39 - Sags, H.W.F., The Greatness that was Babylon, London, 1962 .
40 - Sollberger,E., Le Systéme verbal dans les Inscriptions "royales" pré Sargoniques de Locgas, Geneva, 1952.
41 - Stephens, F.J., "Notes on Some Economic Texts of the Time of Urukagina", RA, 49, 1955.
42 - Thureau - Dangin, F., Les Inscriptions de Sumer et d'AKKad, paris, 1905.
43 - — , Die Sumeri schen und akkadischen Konigsinschriften, Leipzig, 1907.
44 - vanstiphout, H., "Political Ideology in Early Sumer", Or L P, I, 1970
45 - Whitehouse, R., The First Cities, London, 1977.
46 - Wittfogel, K. A., Oriental Despolism - Acomparative Studey of Total Power, Yale University Press, 1962.
47 - Witt Fogel, K. A., Le Despotisme Oriental, Paris, 1964.
48 - Woolley, L., Excavations at Ur, London, 1963.
49 - Woolley, L., History Unearthed, Urof the Chaldess, London, 1963.

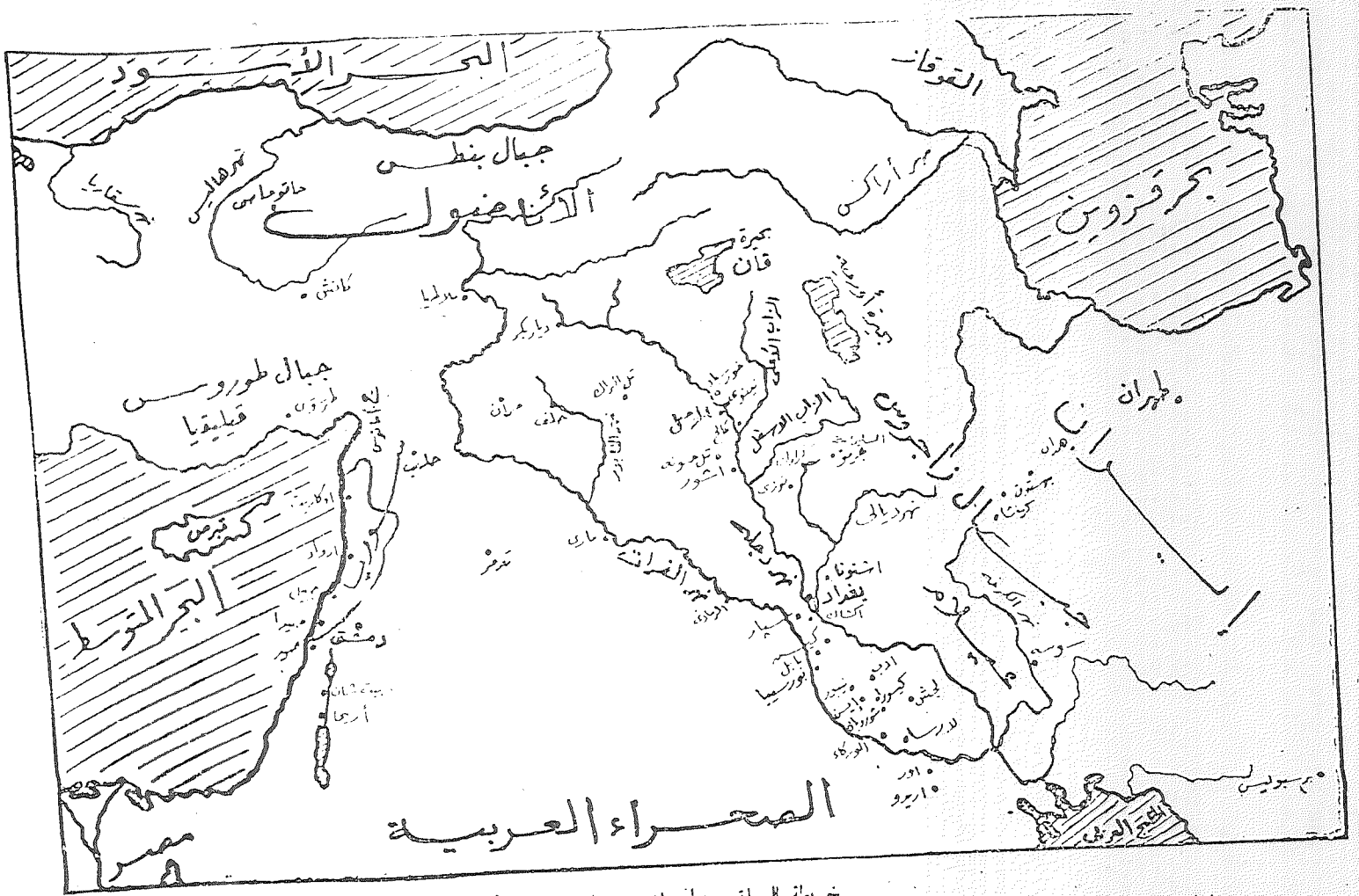

خريطة العراق وجاوراته من بلاد الشرق الأدنى القديم

المرجع : محمد عبد اللطيف محمد على : المرجع السابق ، شكل (١)